أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره
دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم

أ.م . سلوى بطيح المسعودي *

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

يتناول هذا البحث (أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم) والأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع ما يأتي:

كَثُرت الكتابة عن الانحرافات العقدية، والكتابة عن السمع والبصر لم يسبق الكتابة عن هذا الموضوع.

وكان الهدف من هذا البحث :

بيان الانحرافات العقدية وأثرها على سمع الإنسان وبصره.

ويتلخص منهج البحث في المنهج الاستقرائي التحليلي.

وقد اشتمل البحث على ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : الكفر بالله تعالى ، وأثره على سمع الإنسان وبصره.
- المطلب الثاني : اتباع الهوى ، وأثره على سمع الإنسان وبصره.
- المطلب الثالث : الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم، وأثرهما على سمع الإنسان وبصره.

ومن أهم النتائج التي تُوصِّل إليها :

١- إن الصمم والعمى الواردان في القرآن وكانا في سياق الذم هما : الصمم والعمى المعنوي لا الحسي.

٢- من رُزِقَ السمع والبصر ولم ينتفع بهما في معرفة الحق واتباعه فهو في منزلة أسوأ من الأنعام .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

---

* **جامعة أم القرى .**

Abstract

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the most honorable of the prophets and messengers. Our Prophet Muhammad, may God's prayers and peace be upon him, and all his family and companions... As for what follows- :

The subject of this research was (the effect of nodal deviation on hearing and sight, a doctrinal study in the light of the Holy Qur'an.(

Among the reasons for choosing this topic are the following:

There has been a lot of writing about nodal deviations, and writing about hearing and sight, but this topic has never been written before.

The aim of this was

Statement of nodal

deviations and their impact on hearing and sight.

The research method is summarized in the inductive analytical method.

The research included four demands:

•The first requirement: disbelief in God Almighty, and its effect on hearing and sight.

•The second requirement: following one's desires, and its effect on hearing and sight.

•The third requirement: corruption on earth, and its effect on hearing and sight.

Among the most important results it reached:

-1The deafness and blindness mentioned in the Qur'an are: deafness and moral blindness, not sensory.

-2He who is endowed with hearing and sight and does not benefit from them in knowing the truth and following it, then he is in a worse position than the cattle.

Glory be to your Lord, Lord of Glory, above what they describe, and peace be upon the Messengers, and praise be to God, Lord of the worlds.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وكرَّمه ، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة ، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة والسراج المنير ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

خلق الله تعالى الإنسان وكرَّمه بالعقل ، وجعل له السمع والبصر ،يقول تعالى : ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(١)

والنعم تستوجب شكر الْمُنْعِمَ، يقول الله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾(٢)

والعبد مسؤول عن هذه النعم ، يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ (٣)

وَمَنْ تأمل الآيات القرآنية يجد أن الناس تجاه هاتين النعمتين على فريقين

فريق: سَمِعَ الحق ورآهُ وعَمِلَ به ، وفريق سَمِعَ الحق ورآه وانحرف عنه ، وقد فرَّق الله تعالى بين هذين الفريقين، يقول الله تعالى : ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٤)

وكان للانحراف عن الحق أثرٌ على السمع والأبصار، لذلك جاء هذا البحث للوقوف على أثر هذا الانحراف على سمع الإنسان وبصره، وجاء عنوانه:- أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره، دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم.

مشكلة البحث :

- الانحرافات العقدية التي تؤثر على سمع الإنسان وبصره .
- أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره.

أهمية البحث :

– الوقوف على أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره، و إثراء المكتبة الإسلامية والمكتبة العقدية بالدراسات التي تجمع بين الدراسات العقدية والدراسات القرآنية، و تأتي هذه الدراسة من باب النصح لكتاب الله تعالى، ودراسته، والوقوف على معانيه.

أهداف البحث :

- بيان الانحرافات العقدية التي تؤثر على سمع الإنسان وبصره.
- بيان أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره.

أسباب اختيار الموضوع :

كثرة الكتابة عن الانحرافات العقدية والكتابة عن السمع والأبصار في القرآن الكريم لكن لم يسبق الكتابة عن هذا الموضوع.

حدود البحث :

الوقوف على الانحرافات العقدية وأثرها على سمع الإنسان وبصره في ضوء القرآن الكريم.

منهج البحث :

استقرائي تحليلي ، يتمثل في جميع الآيات القرآنية الخاصة بهذا البحث والوقوف على معانيها.

خطة البحث :

اقتصت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة ، وثلاثة مطالب ، وخاتمة .

المقدمة فيها أهمية البحث، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومشكلته، وحدوده، والمنهج.

والمطالب هي :

المطلب الأول : الكفر بالله تعالى وأثره على سمع الإنسان وبصره.

المطلب الثاني : اتباع الهوى وأثره على سمع الإنسان وبصره.

المطلب الثالث : الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم وأثرهما على سمع الإنسان وبصره.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج التي تُوصِل إليها من خلال البحث.

المطلب الأول : الكفر بالله تعالى وأثره على سمع الإنسان وبصره:

مما لا ريب فيه أن الكفر بالله تعالى ظلم للنفس ، يقول الله تعالى : ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(5)
وهو بُعْدٌ عن الطريق السوي الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ، يقول الله تعالى :﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(6)
وخروج عن طاعة الله تعالى، يقول الله تعالى ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾(7)
وبه يكون خسارة الإنسان في الدنيا والآخرة ، يقول الله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (8)
وحرمان العبد من محبة الله تعالى يقول الله تعالى :﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(9)
فالكافرون هم شر الدواب عند الله ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾(10)
وسنذكر في هذا المطلب أثر الكفر بالله على سمع الإنسان وبصره.

المطلب الأول : الكفر بالله تعالى وأثره على سمع الإنسان وبصره.

ذكر الله تعالى أن لأهل الضلال أعين وآذان لكن لم ينتفعوا بها ، ولما لم ينتفعوا بها فهم بمنزلة الأنعام ، بل هم أسوأ منهم ، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾(11)

"يقول الطبري – رحمه الله – في تفسير هذه الآية ((لهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله تعالى ويتفكروا فيها، ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله ، فيعتبروها)) (12)
وذكر ابن الجوزي– رحمه الله – في بيان وجه الشبه بين المعرضين عن الحق، وبين الأنعام فقال: "شبههم بالأنعام، لأنها تسمع و تبصر ولا تعتبر" (13)

وبيّن الطبري – رحمه الله – وجه تفضيل الأنعام على هؤلاء المعرضين عن الحق، فيقول: " هؤلاء الكفرة أشد ذهابا عن الحق من البهائم، لأن البهائم لا اختيار لها ولا تمييز، و إنما هي مسخرة، ومع ذلك تهرب من المضار، و تطلب لأنفسها من الغذاء الأصلح" (14)

وهم شر الدواب، يقول الله تعالى :﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ﴾(15) وذكر الله تعالى الحجب التي تحول بينهم وبين الانتفاع بالحق فوصفهم الله بالصمم (16) عن سماع الحق والعمى (17) عن رؤيته، يقول الله تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾(18)

"يقول الطبري – رحمه الله – في تفسيرها "مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يُتلى عليه في كتابه، وسوء قبوله لما يُدعى إليه مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نُعِقَ بها، ولا تعقلُ مايُقال لها" (19)

فهم صم عن الانتفاع بسماع الحق، ففي آذانهم الوقر وهو الثقل الموجود على آذانهم (20)

يقول الله تعالى:﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ ...﴾(21)

يقول الشنقيطي – رحمه الله– في بيان حقيقة هذا الوقر: ((هو الوقر المعنوي المانع من سماع الحق فقط، دون سماع غيره)) (22)

و ذُكِرَ الوقر على سبيل التشبيه في قول الله تعالى: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (23)

((والوقر المذكور على سبيل التشبيه بالوقر الحسي، لأن الوقر المعنوي يُشبه الوقر الحسي)) (24)

ويقول الطبري((وجُعِلَ في آذانهم ثُقَلاً وصمما عن فهم ما تتلو عليهم و الإصغاء لما تدعوهم إليه)) (25)

((فالقلوب عليها أكنة وهي: الأغطية التي حالت بينهم وبين الانتفاع بما سمعوه من الحق)) (26)

وحال بينهم وبين الانتفاع بسماع الحق الطبع والختم على القلوب ، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ (27)

فحالت بينهم وبين فهم الحق، يقول الله تعالى:﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾(28)

ومن اعظم الضلال والخسران أن يشهد الإنسان على نفسه بالضلال يقول الله تعالى:﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾(29)

ومن أعظم الخسران أن يحرم الإنسان نفسه من الاستماع للحق ورؤيته، يقول الله تعالى:﴿وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِىٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارًا﴾ (30)

وذلك لشدة كراهيتهم للحق، يقول الله تعالى:﴿ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ﴾ (31).

وأيضًا ذكر الله تعالى الختم و الطبع على القلوب، و الأسماع ، و الأبصار فلا تنتفع بالحق؛ يقول الله تعالى :﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾(32) وفي موضع آخر يذكر الله تعالى أن الختم على القلوب و الأسماع ، يقول الله تعالى : ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(33).

و المتأمل للآيات القرآنية يجد أن أكثر أوصاف الختم و الطبع تكون للقلوب والأسماع، وقد تكون للأبصار ، ووصف الأغطية و الأغشية للأعين! يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِى وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾. (34) يقول ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية: ((وهذا يتضمن معنيين: أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده و عجائب قدرته. والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاهتداء به، وهذا الغطاء للقلب أولاً ثم يسري منه إلى العين)) (35)

ويذكر ابن تيمية رحمة الله: تأثير القلب على أعضاء الإنسان، فيقول: ((القلب هو الملك، والأعضاء جنوده، وإذا صلح صلح سائر الجسد، و إذا فسد فسد سائر الجسد)) (36) ويقول: (37) ((ومن الناس من يقول: لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر، جعلوا صمًا عميًا، أو لما أعرضوا عن السمع والبصر صاروا كالصُّم العُمي، وليس لذلك بل نفس قلوبهم عميت وصمَّت كما قال الله تعالى:﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾))(38)وذكر الله تعالى تقليب القلوب و الأبصارو الحيلولة بينها وبين الإيمان بالله تعالى ، يقول الله تعالى:﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِى طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾(39).

إن من تأمل الآيات القرآنية يجد أن الله تعالىٰ حذّر من اتباع الهوى، يقول الله تعالىٰ : ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْ ..﴾ (40).

و حذّر النبي صلىٰ الله عليه وسلم من اتباع و طاعة من اتبع هواه. يقول الله تعالىٰ: ﴿لَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ (41). وذكر الله تعالىٰ أن الحق لو اتبع أهواء المشركين لفسدت السموات و الأرض. يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ (42).

واتباع الهوى سبب في ضلال صاحبه، وبعده عن الحق، يقول الله تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ (43)

وسبب في ظلم صاحبه لنفسه. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (44)

وسبب في هوان صاحبه، وذله في الدنيا ، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث..﴾ (45).

لذلك فإن النجاة، وحصول النعيم هي في مخالفة هوى النفس، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ (46).

وسيُذكر في هذا المطلب أثر اتباع الهوى على سمع الإنسان و بصره.

المطلب الثاني: اتباع الهوى و أثره على سمع الإنسان وبصره:

ذكر الله أثر اتباع الهوى واتخاذه إله من دون الله تعالى على القلب والسمع والبصر، يقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (47).

يقول الطبري: "أفرأيت يامحمد من اتخذ معبوده هواه، فيعبد ماهوي من شيء دون إله الحق". (48)

وذكر أثر ذلك على سمع الإنسان وقلبه وبصره فقال: "وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله، فيعتبر بها ويتدبرها، وطبع لى قلبه قلا يعقل به شيئًا، ولا يعي به حقاً، وجعل على بصره غشاوة أن يبصر بها حجج الله"(49)

وذكر السمعاني أثر اتباع الهوى فقال: "ختم على سمعه فجعله لا يسمع الحق وختم على قلبه فجعله لا يقبل الحق، وجعل على بصره غطاء فلا يبصر الحق". (50)

فالذي يتبع هواه أسوأ حالاً من الأصم والمجنون، ولذلك يقول السمعاني: "وختم على سمعه فلا فهم له في الآيات المسموعة ولما كان الأصم قد يفهم بالإشارة قال: وختم على قلبه فهو لايعي مامن حقه وعيه، ولما كان المجنون الأصم قد يبصر مضاره ومنافعه فيباشرها مباشرة البهائم".

ويقول الله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(51).

فمن الضلال اتباع الهوى واتخاذه إله من دون الله وهو سبب في الختم على السمع والقلب والغشاوة على البصر، فيحرم صاحبه من السمع و العقل. ولا أحد أضل ممن اتبع هواه، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (52).

و اتباع الهوى سبب في حرمان صاحبه من فهم الحق, والعلم به؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ (53).

:

وقد نهى الله تعالى عن الفساد و الإفساد، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(54).

وفرَّق الله بين أهل الإيمان و الإصلاح وبين المفسدين . يقول الله تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ (55).

ومنْ صور الفساد: ترك أوامر الله تعالى و ارتكاب النواهي. يقول الله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (56).

ومن صورة النفاق الاعتقادي وهو إبطان الكفر و إظهار الإسلام. ومنه قوله تعالىٰ في حق المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ﴾(57)

ومن صوره: إهلاك الحرث و النسل. ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾(58).

ومن صوره: التطفيف في الكيل و الميزان. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾(59).

ومن صوره: السحر، وهو من أعظم الكبائر. يقول الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (60).

ومن صوره: الصد عن سبيل الله تعالى : ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (61).

المطلب الثالث: الإفساد في الأرض ، وقطيعة الرحم ، وأثرهما على سمع الإنسان وبصره.

إن المتأمل للآيات القرآنية يجد أن الله تعالىٰ وصف الكفار بهذين الأمرين ورتب عليهما الخسران. يقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِى ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ (62).

ومن الخسران الحرمان من محبة الله تعالى . يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾(63).

وكانت عاقبة من اتصف بهما اللعن و الطرد من رحمة الله تعالى ، وحصول الصمم والعمى والحرمان من الانتفاع بالحق؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ (64).

يقول الطبري بيان معنى الإفساد في الأرض و قطيعة الرحم هو: ((أن تعصوا الله في الأرض، فتفكروا به وتسفكوا فيها الدماء، وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرق)) (65)

وبين عقابهم،((فأبعدهم الله من رحمته فأصمهم وسلبهم فهم مايسمعون من مواعظ الله، وسلبهم عقولهم، فلا يتبيَّنون حجج الله، ولا يتذكرون مايرون من عبره وأدلته)) (66)

"وجعلهم الله بمنزلة الصم والعمى" (67)

"وفي الآية إشعار بأن الفساد في الأرض و قطيعة الأرحام من شعار أهل الكفر" (68)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم . أما بعد:

فكان موضوع هذا البحث "أثر الانحراف العقدي على سمع الإنسان وبصره، دراسة عقدية في ضوء القرآن الكريم"

وأهم ما تُوصِّلَ فيه من نتائج:

١- صلاح القلب وفساده يؤثران على سمع الإنسان وبصره

٢- إن الصمم والعمى الواردان في القرآن هما: الصمم والعمى المعنوي لا الحسي، والغالب ذكرهما معًا.

٣- من رُزِق السمع والبصر ولم ينتفع بهما في معرفة الحق واتباعه فهو في منزلة أسوأ من الأنعام.

٤- أكثر عبارات الختم والطبع تكون للقلوب والأسماع.

٥- الحجب التي تحول بين الآذان وبين الانتفاع بسماع الحق: الصمم والوقر والختم على الأسماع.

٦- الحجب التي تحول بين الأعين وبين الانتفاع برؤية الحق : العمى ،والأغطية، والأغشية، والختم على الأبصار وتقليبها.

٧- إن الصمم والعمى المعنويان تأثيرهما على الإنسان أعظم من تأثير الصمم والعمى الحسيان.

٨- أثر الكفر بالله تعالى على سمع الإنسان وبصره، فهو يصم سمع الإنسان عن سماع الحق ويعمي بصره وقلبه عن اتباع الحق.

٩- أثر اتباع الحق على سمع الإنسان وبصره، فهو يختم على سمعه وبصره، فلا ينتفع بسماع الحق ورؤيته.

١٠- أثر الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم على سمع الإنسان وبصره، فهما يجعلان الإنسان بمنزلة الأصم والأعمى.

المصادر

القرآن الكريم.

أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، بيروت- عالم الكتب.

الايمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عمان- الأردن، المكتب الاسلامي،ط٥،١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

التحرير و التنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي،تونس، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤ م

تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبدالجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن ابراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم،الرياض – السعودية، دار الوطن، ط١،١٤١٨هـ -١٩٩٧م.

التفسير القيم: تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات و البحوث العربية و الإسلامية، أشراف: الشيح إبراهيم رمضان، بيروت،دار ومكتبة الهلال،ط١،١٤١٠ هـ

جامع البيان في تأويل القران، محمد بن جرير بن يزيد بنت كثير، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط٤،١٤٢٠، هـ -٢٠٠٠م.

زاد المسير في علم التفسير، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، بيروت – لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٣ط١هـ-٢٠٠٢م.

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار, بيروت، دار العلم للملايين ، ط٤،١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الأفريقي، بيروت، دار صادر، ط٣ ، ١٤١٤هـ .
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي،القاهرة، دار الحديث،ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
معجم مفردات ألفاظ القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ، ضبطه وصحّحه وخرج آياته وشواهده : إبراهيم شمس الدين، مكة المكرمة ،توزيع مكتبة عباس بن أحمد الباز ،ط١ بيروت – لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون،١٣٩٩ هـ -١٩٧٩م.

هوامش البحث

(١):سورة الإنسان، آية (٢)
(٢): سورة المؤمنون، آية (٧٨)
(٣): سورة الإسراء، آية (٣٦)
(٤): سورة هود، آية (٢٤)
(5): سورة البقرة، آية (٢٥٣)
(6):سورة البقرة، آية (١٠٨)
(7): سورة البقرة، آية (٩٩)
(8):سورة البقرة، آية (١٢١)
(9):سورة ال عمران، آية (٣٢)
(10):سورة الأنفال، آية (٥٥)
(11): سورة الأعراف، آية (١٧٩)
(12):جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري،(٦/١٣٠)ط.4،مؤسسة الرسالة ،١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م
(13):زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمنبن علي ابن الجوزي، ص(464) ط ١، بيروت – لبنان, دار إحياء التراث العربي ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
(14):تفسير الطبري (٦/١٣١)

(15):سورة الأنفال، آية (٢٢)

(16): الصمم: انسداد الأذن و ثَقِلُ السمع، والأصم هو الذي لا يسمع. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الافريقي(١٢/ ٣٤٢ – ٣٤٣)، بيروت– دار صادر ، ط٣، ١٤١٤هـ. وينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبطه وصحّحه: إبراهيم شمس الدين، ص (٣٢٠) ط١، بيروت–لبنان توزيع مكتبة عباس بن أحمد الباز، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

(17): العمى: ذهاب البصر من العينيين كِلتيهما. الصحاح تاج اللغة وصحاح اللغة العربية، أبو نصر اسماعيل بن محمد الجوهري الفاربي. تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار (٦/ ٢٤٣٩) بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون(٤/ ١٣٣) ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م. وينظر معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني ص) ٣٨٩

(18):سورة البقرة، آية (١٧١)

(19):جامع البيان في تأويل القرآن، (٨٤/٢)

(20): ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، (٨٤٨/٢).

(٢١):سورة الأنعام، آية (٢٥)

(22): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي.(١٧٩/٦) بيروت، عالم الكتب.

(23):سورة لقمان ، آية (٧)

(24):أضواء البيان (١٧٩/٦)

(25): جامع البيان في تأويل القرآن، (١٦٩/٥)

(26): ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (١٦٨/٥)

(27):سورة الأعراف، آية (١٠٠)

(28):سورة محمد، آية (١٦)

(29):سورة فصلت، آية (٥)

(30):سورة نوح، آية (٧)

(31):سورة هود، آية (٢٠)

(32):سورة النحل، آية (١٠٨)

(33):سورة البقرة، آية (٧)

(٣٤):سورة الكهف، آية (١٠١)

(35): التفسير القيم: تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، إشراف: الشيخ إبراهيم رمضان،ص/٣٦٨، بيروت ، دار و مكتبة الهلال، الطبعة الأولى،١٤١٠ هـ.

(36):الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسممحمد ابن تيميةالحراني الحنبلي الدمشقي،تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص(٢٥) عمان–الأردن، المكتب الإسلامي، الطبعة الخامسة،١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

(37): المصدر السابق، ص (٢٥)

(38):سورة الحج ، آية (٤٦)

(39): سورة الأنعام ، آية (١١٠)

(40): سورة النساء، آية (١٣٥)

(41): سورة الكهف، آية (٢٨)

(42): سورة المؤمنون، آية (٧١)

(43): سورة الروم، آية (٢٩)

(44): سورة القصص، آية(٥٠)

(45): سورة الأعراف، الآيتان (١٧٥ – ١٧٦)

(46): سورة النازعات، الآيتان (٤٠– ٤١)

(47): سورة الجاثية، آية (٢٣)

(48): جامع البيان في تأويل القرآن (٧٦/٢٢)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١،١٤٢٠ هـ –٢٠٠٠ م

(49):جامع البيان في تأويل القرآن (٧٧/٢٢)

(50): تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبدالجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم (١٤١/٥–١٤٢) الرياض– السعودية دار الوطن ، ط١،١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

(51): سورة الفرقان ، الآيتان(٤٣ – ٤٤)

(52): سورة القصص ، آية (٥٠)

(53): سورة محمد ، آية (١٦)

(54): سورة الأعراف ، آية (٥٦)

(55): سورة ص، آية (٢٨)

(56): سورة البقرة، آية (٢٧)

(57): سورة البقرة، الآيتان(١١ – ١٢)

(58): سورة البقرة ، آية(٢٠٥)

(59): سورة الأعراف ، آية (٨٥)

(60): سورة يونس ، آية (81)

(61): سورة الأعراف ، آية (٨٦)

(62): سورة البقرة، آية (٢٧)

(63): سورة القصص، آية (٧٧)

(64): سورة محمد، الآيتان(٢٢ -٢٣)

(65):جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٧/٢٢).

(66):جامع البيان في تأويل القرآن (١٧٨/٢٢).

(67): تفسير القرآن، السمعاني (١٨١/٥)

(68): التحرير و التنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١١٣/٢٦)تونس، الدار التونسية للنشر،١٩٨٤م